« بالحرب الباردة » . وفيما يخص الصراع بين حركات الاستقلال الوطني والامبريالية، فقد سجلت سنوات الخمسين أيضا ، أول انتصار لنظام جمال عبدالناصر الوطني والمناهض للاستعمار في مصر ، اذ أمم سنة ١٩٥٦ شركة قناة السويس الاجنبية ، ورغم التدخل الفرنسي — البريطاني — الاسرائيلي ، والنجاح العسكري الذي حققته الامبريالية ، الا أن منظمة الامم المتحدة قد أدانته ، وأجبرت البلدان المعتدية على الانسحاب ، وكانت هزيمة القوة العسكرية الامبريالية أمام القوة السياسية للبلدان التقدمية .

وعلى هذا الحال فان المناخ السياسي لسنوات الخمسين يمثل انطلاقا كبيرا للبلدان العربية التي أتمت بقدر كلي الواجبات الاولى لثورتها الوطنية الديمقراطية . على نقيض الشعب الفلسطيني الذي ليس له لا بلد ولا دولة ليتمم هذا الواجب : « أقام الفلسطينيون منذ عام ٤٧ — ١٩٤٨ في البلاد العربية على طول الحدود المجاورة للمنطقة المحتلة من فلسطين ، سواء في الخيام التي اقامتها وكالة الغوث الدولية، أو في الكهوف، ولا يزالون يقيمون فيها من ذلك التاريخ حتى الان، عرضة لحر الصيف القاتل ، ولبرد الشتاء القارس ، وللامراض الفتاكة ، يحيون حياة البؤس والفاقة ، ويسدون رمقهم بما يحصلون عليه بالدمع والعرق »(١٢).

وذهب بعض الفلسطينيين الى العربية السعودية ، أو الى امارات الخليج العربي ، ومنهم من هاجر الى الغرب لاكتساب لقمة العيش : « بلغ عدد اللاجئين المسجلين في وكالة غوث اللاجئين بالاضافة الى عدد اللاجئين في غزة والضفة الغربية قبل ٥ حزيران ١٩٦٧ : ١٫٣٤٤٫٥٧٦ ، أما غير المسجلين : ١٫٠٩٫٤٢٤ ، أي أن العدد الاجمالي : ٢٫٤٥٣٫٠٠٠ »(١٣).

في ضوء هذه الوقائع ، نستطيع أن نفسر حياة غسان كنفاني المضطربة في دمشق ، عاملا ومدرسا وصحافيا ، ثم في الكويت سنة ١٩٥٦ مدرسا لسنوات أربع ، اخيرا مجيئه بيروت ليعمل في جريدة الحرية .

لكن أحداث البلدان الشقيقة أعادت للشعب الفلسطيني ثقة كبيرة ، اذ اننا نرى رغم الوضع البائس للحاضر ، أن تحولا قد بدأت تتضح معالمه في هذه الفترة لصالح هدف الشعب الفلسطيني الاساسي ، ألا وهو : استرجاع أرضه وحقه الوطني .

(ج) الكفاح من أجل التحرر الوطني (المرحلة الثانية) :

١ — اعادة بناء التنظيم الثوري

مع ١٩٥٦ ، ظهرت بعض الاشكال الجنينية للتنظيم الثوري عبر عمليات فدائية شنت من قطاع غزة وسوريا . أخذت هذه النشاطات مقاييس متزايدة مع بداية الستينات ، عندما حصلت تحولات كبيرة في بلدان أخرى (أصبحت الجزائر مستقلة سنة ١٩٦٢ ، وحوالي سنة ١٩٦٠ تحطمت كل الامبراطوريات الاستعمارية على التقريب) دون أن يتبدل شيء في الوضع الفلسطيني . لقد أصبح المد الشعبي متزايدا أكثر فأكثر في البلدان العربية ، وعلى الخصوص في الاردن ، حيث معظم الفلسطينيين لاجئون . في سنة ١٩٦٤ ، قامت « منظمة التحرير الفلسطينية » ، وفي سنة ١٩٦٥ تأسس اول تجمع شعبي ذو بنيان منظم بمولد « فتح » . وهكذا فان الانطلاقة الهادفة للتحرر الوطني قد اجتازت فترة هامة في عملية نضجها : اذ عبرت « فتح » في الواقع عن تنظيم شعبي له أهدافه المحددة، تحت قيادة طليعة ثورية . وقد أبدى برنامج «فتح»، النقاط الاساسية لثورة وطنية — ديمقراطية، مستجيبة لحركة التحرر الوطني العريضة، العربية والعالمية،